البعد الاجتماعي والتاريخي للمكان في الخطاب القصصي الجزائري

د. أوريدة عبود

مخبر تحليل الخطاب

جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر

***Summary* :**

The place in the narrative discourse is the material substance of the speech, and any exclusion of it is a negation of the identity of this discourse, and the presence of the place not as a framework in which the events and events, but as a deep awareness of aesthetic writing and composition, place as form and meaning, place as memory and existence, Cultural and ideological and cognitive fabric.

The place in the experience of occupation and resistance is the language of the earth, the body of the text and its spirit, which is centered around the entity, for which man rises through the dialectic of the past and the future and now. And the awareness of the human importance of the forces of belonging to history and make him look forward to a hopeful future, and goes to memory not because they fled from the present, but as a system of belief and manifestations of the reference carried by the social and historical reality.

Keywords: Earth, identity, history, society, struggle, story, entity, place, reality

Résumé:

L'espace dans le discours narratif est la substance matérielle du discours, et toute exclusion de ce discours est une négation de l'identité de ce discours et de la présence du lieu non pas comme un cadre dans lequel les événements et les événements sont vécus, mais comme une conscience profonde de l'écriture et de la composition esthétiques, le lieu comme forme et le sens, le lieu comme mémoire et existence, Tissu culturel et idéologique et cognitif

L'espace dans l'expérience de l'occupation et de la résistance est le langage de la terre, le corps du texte et son esprit, centrés autour de l'entité, pour laquelle l'homme se lève à travers la dialectique du passé et du futur et du présent. Et la conscience de l'importance humaine des forces d'appartenance à l'histoire fait en sorte que celle-ci entrevoit un avenir plein d'espoir, et qu'elle se souvient non pas du fait qu'elle a échappé au présent, mais d'un système de croyance et de manifestations de la référence portée par la réalité sociale et historique.

les mots clé : Terre, identité, histoire, société, lutte, histoire, repassage

الملخص :

يشكّل المكان في الخطاب القصصي المادة الجوهرية للخطاب، وأي إقصاء له إنّما هو إلغاء لهوية من هويات هذا الخطاب، وحضور المكان ليس بوصفه إطارًا تدور فيه الأحداث والوقائع بل كوعي عميق بالكتابة جماليًا وتكوينيا، المكان كشكل ومعنى، المكان كذاكرة ووجود، كسؤال إشكالي مرتبط بوعينا الاجتماعي والثّقافي وبنسيجنا الإيديولوجي والمعرفي.

المكان في تجربة الاحتلال والمقاومة هو لغة الأرض، وجسد النّص وروحه، يتمحور حوله الكيان، ينهض من أجله الإنسان عبر جدلية الماضي والمستقبل والآن. ووعي الإنسان بأهميته قوّى انتماءه للتّاريخ وجعله يتطلّع إلى مستقبل مؤمل، ويجنح إلى الذّاكرة ليس لأنّها هربٌ من الحاضر وإنّما كنظام من الاعتقاد وتجليات مرجعية يحملها من واقعه الاجتماعي والتّاريخي.

الكلمات المفتاحية: الأرض، الهوية، التاريخ، المجتمع، النضال، القصة، الكيان، المكان، الواقع.

مقدمة:

سجل المكان مختلف الثقافات والعادات والمعتقدات، وكلّ ما يتّصل بالإنسان منذ غابر الأزمان، لذلك يكتسب قيمته الفنّية والموضوعية بوصفه وعاءً للزّمان، حيث يسعى الإنسان من خلالهما ووفق مجموعة من العوامل التي تشكّل محيطه النّفسي تحقيق شعوره بالتّواجد والكيان الفردي الاجتماعي. وعلى هذا نجد أنّ الإحساس بالمكان يكشف عن منحى العلاقات المتماهية عبر التجليات الصّورية، التي يمثّلها الشّعور بالزمان خاصّة أنّ الكاتب عندما يستعمل اللّغة يعمل على تشكيلها من منظور مزدوج في الوقت نفسه، فهو يشكّل معاني ذات دلالة من الزمان ومن المكان.من هنا نلاحظ مدى ارتباط مفهوم المكان بالمشاعر والأحاسيس.

لقد أوجدت الثّورة في أدبنا اتجاها جديدا – الاتجاه الواقعي– فعبّر أدباؤنا عنه بصدق وموضوعيّة،"وعبد الله ركيبي"أحد الذين عاشوا الثّورة بوجدانهم وعبّروا عنها في أدبهم، وقد استطاع أن ينقلنا من خلال مجموعتة القصصية "نفوس ثائرة " إلى واقع الثّورة الجزائريّة ،فنحياه من جديد بواسطة البعث والإضافة.

إنّ صدق تجربة ركيبي وسعة رؤاه يحددّان وفقًا لمجموعة من المعايير، وكانت نظرته إلى المكان مقياسا مهمّا. وهذه التّجربة الصّادقة أعطت للمكان بُعدًا دلاليّا ونفسيّا مستمدّا من المراحل التّاريخية المتميّزة بحسّ مأسوي عام.

ولعلّ مقدرة الكاتب في نقل الإحساس بالمكان تبدو في أفضل صورها في أغلب قصص هذه المجموعة منها (نوارة الصّغيرة)، (قصّة لم تتم)، (في المغارة)، (وجود... ولكن)، (الإنسان والجبل)، (راعي الغنم) ، حيث تتحوّل أغلب الأماكن الجزائرية –الرّيفية خاصة–، إلى مادة لخلق فضاء القصّة. وتبعًا لذلك فإنّ المكان في هذه القصص يحمل بعض الأبعاد التي تكشف عن وضعية المجتمع إبّان الثّورة...لهذ يطرح بحثنا جملة من الأسئلة المركزية

كيف يتم تشخيص المكان؟

كيف يكتب الخطاب القصصي الجزائري المكان؟

هل هناك وعي بحضور المكان، بوظائفه و دلالاته و أبعاده؟

1– الكوخ /:صورة لعراقة الشعب:

تتبع أهمية المكان في العمل الأدبي لدوره الواضح في تجسيد رؤية الكاتب لهوية الإنسان ووجوده القائم على الأرض التي تتبع منها هذه الرؤية، ذلك أن الكاتب حين يصف المكان يستثمر عناصره الفيزيائية لتجسيده، بحيث

يجعلنا نقف على صورته الطبوغرافية ،إنه يرسم صورة بصرية تجعل إدراك المكان بواسطة اللغة ممكنا، جاعلا الوصف أداة لتصويره وبيان جزئياته و أبعاده.

هناك تصوير مباشر لأماكن واقعية في بعض قصص المجموعة منها: قصّة (نوارة الصّغيرة) (إلى البئر)، وقصّة (في المغارة). ففي القصّة نوارة الصغيرة يقول المؤلف فيها: « هذه وهدة البرقوق تتوسّد سفوح الأوراس الأشم وكأنّه نسر يوشك أن ينطلق إلى أجواز الفضاء.. كانت الثّلوج تتساقط كصندوق الصّوف فتبدو أشجار البلوط والسنديان، وقد كستها الثّلوج رداء أبيض مثل جثث محنّطة في الأكفان.وهنا وهناك، على هذه الوهدة تناثرت الأكواخ المتداعية كخلايا النحل التي تآكلت جوانبها فبات لونها باهتًا حائلاً، هذه الأكواخ التي لا تعرف القرميد والآجر.. وكلّ ما تعرف أنواعًا وضروبًا من القش، والدّيس والحلفاء.. إنّها لا ترد المطر ولا تقي من البرد.. أكواخ تأنف الكلاب من السكن فيها »[1].

إنّ تحديد المكان لا يؤدّي دور الإيهام فقط، فهذا الأسلوب من أبسط أشكال تصوير المكان في القصّة، وهو مرتبط باتّجاه متميّز – هو الاتجاه الواقعي – لكن وظيفة هذا المكان، أو بالأحرى هذه الأكواخ لا تتوقّف عند حدود هذا الوصف بقدر ما تكشف عن حقيقة المأساة الإنسانية التي كانت شديدة الوطأة في الرّيف الجزائري، وتكشف كذلك عن صور البؤس وضياع الأرض من خلال معاناة الفلاح العم "رابح"، الذي وقع ضحية الاستغلال الاستعماري البشع. يقول القاص: « وفي ركن من هذه الوهدة انتصب كوخ "رابح شقور" الذي تكدّست فوقه ضروب من القشّ وأنواع الدّيس وأخشاب الطّاقة و العرعار... واعتناء رابح شقور بكوخه يبدو في حرصه الشّديد – كل يوم – وهو يحمل الخشبة على كتفيه وهو راجع ببقرته من المرعى.. فلا يكل من حمل هذه الخشبة أبدًا.. إنّها تكاد تصبح كظلّة.. فهي تصلح للوقود.. ولتمتين الكوخ ولأشياء أخرى يعددها العم رابح – كما يلقّبه الأطفال – وهو مغتبط بمزايا هذه الخشبة إلى أبعد حدّ.. فهي نعمة وبركة لمن يسكن في الجبال.. وكثيرًا ما يختم حديثه عنها بهذه الجملة: لولا الخشبة لهلك النّاس من شدّة هذا البرد »[2].

اعتمد المؤلّف في وصف هذا المكان على تعميق حدّة المأساة الاجتماعية وتبيان آثار المصيبة الاستعمارية على الفلاّحين الذين حملوا العبء الأكبر من البؤس والفقر.

أخذت القرية مساحة كبيرة في قصص ركيبي، فهي: « الهوية المكانية المركزية التي قهرت المستعمر، وقد اقترن من خلالها فعل الطّبيعة بفعل الإنسان الثّائر المدافع عن كيانه »[3]، ولعلّ المكان في المجموعة هو محتواها وعمقها.

إنّ هذه الصّورة التي قدّمها "ركيبي" عن الأكواخ تؤكّد تعاسة الحياة في الرّيف، وتوحي بأنّ الأرض قديمة قدم أهلها في عاداتها وتقاليدها وأسلوب معيشتها. وأنموذج الفلاح "رابح" يجسّد عراقة الشّعب فوق هذه الأرض بكوخه المتواضع، فقد اتّخذ الكوخ في الثّورة الجزائرية، ولدى "ركيبي" عدّة دلالات نفسية واجتماعية أبرزها رصد

صورة الاحتياج المادي والمعنوي المتمثّل في عدم استطاعة الإنسان الجزائري المظلوم اكتساب بيت يحميه من البرد والمطر وشدّة الحرّ، فضلاً عن أن الكوخ يرمز إلى عدم الاستقرار.

إنّ إيراد المؤلّف لصورة الأكواخ ليس رومانسيا، إنّما هو نابع من الإحساس بالقضية إحساسًا إنسانيًا عميقًا، وقد لجأ إلى استخدام وصف الطّبيعة لأنّها ترتبط ارتباطًا عضويًا بأبعاد الإنسان النّفسية والفكرية والاجتماعية. وهذا الوصف أداة لتأكيد الموقف الثّوري وتعميق المأساة الاجتماعية. هذه القصّة تثبت أن الأدب شاهد على الواقع لكونه ضمير الأمّة المجتمع.

تغلغل المكان في جسد البطل واستقرّ في صميم ذاته وكشف عن انتمائه الاجتماعي وطرائق تفكيره، وأنتج علاقة نوعية جرّاء هذا التفاعل هي علاقة ألفة وعشق، ووصلت الألفة إلى حدّ المشاركة في عكس أفراحه: « *والعم رابح يحب كوخه أعظم الحبّ، ليس فقط لأنّه يقيه البرد بعض الشيء، ولكنّه المكان الذي عاش فيه مع ابنة عمّه* (ربيعة) التي كانت زوجة طيّبة القلب – كما يحلو له وصفها – لقد كانت توقد له النّار عندما يرجع متعبًا مقرورًا يسوق هذه البقرة التي هي كلّ ما يملك من حطام الدّنيا.. كان يجد سعادة ومتعة لا نظير لها قرب هذه الزوّجة الوفية، وهذه البنت الصغيرة التي لم تتجاوز السّابعة من عمرها الغض. إنّها (نوارة الصغيرة) التي زاد حبّه لها بعد أن ماتت أمّها.. وذكرى هذه الزّوجة يثير في نفسه مشاعر وأحاسيس مزيج من الحبّ والوفاء والإخلاص »[4].

بات من المؤكّد أنّ التّداخل والاندماج بين البطل والمكان، منح فرصة لتبادل الدّلالات على طول الخطاب القصصي، حيث كلّ واحد منهم اكتسب معناه من الآخر، وما دامت العلاقة بين البطل والمكان قائمة على التّبادل فإنّ كلّ منهما يحفر في الآخر تأثيرات عميقة. وبناءً على ذلك ندرك مدى فعل المكان في حياة العم رابح، يبلغ المستوى البيولوجي والنّفسي والاجتماعي، وكأن سلوكه ترجمة لسلوك المكان، وصفته من صفة المكان الذي يقيم فيه.

تضافرت عوامل كثيرة على تغذية هذا الإحساس في وجدان البطل، خاصّة أن المكان يمثل هنا الأصل و الجذور و التاريخ و السكينةو الحبّ: « فالكوخ ليس مجرّد منزل، بل هو الذي يجد فيه مفهوم المنزل جذوره البعيدة، هو جدّ المنازل جميعًا ولعلّ بشرية الإنسان لم تكتمل إلاّ يوم بنى لنفسه كوخًا.. ومن وجد كوخه وجد مرساه »[5]، الأمر الذي جعل باشلار يعتبره مصدر سكينة وسلام.

فالمكان لا يظهر إلاّ من خلال وجهة نظر شخصية تعيش فيه أو تخرقه: « ثمّ إنّ المسكن لن يكون مسكنًا، إلاّ أن تأنس إليه وتسكن وترتاح وتشعر فيه بأنّك تملك شيئًا ،ولك أن تحمّله بصماتك ولك أن تشكّله وتهيّأه على النحو الذي تراه »[6]. ومع ذلك فإنّ المؤلف أراد من خلال القصّة أن يبيّن مدى صمود الشّعب الجزائري في كنف الاحتلال خاصة أن القيمة الأساسية للأكواخ: « تكمن ببعدها الفنّي باعتبارها وعاءً شعبيًا احتوى تراكيب اجتماعية أعطت لجزئيتها قيمًا جمالية خاصّة لوحدها »[7].

إنّ المكان هنا هو أرض ووطن وزمن، إنّه النّاس الذي تربطهم الأرض وتجمعهم فتؤسس علاقات الألفة والحياة في دمائهم ووجدانهم، ناس يعرفون قيمة المكان ويمارسون حياتهم على نغم عاداتهم الطّيبة. فهذه الصّور الوصفية التي يقيمها "ركيبي" تعكس البعد الاجتماعي للمكان. و بهذا يتجاوز المستوى الذي يبدو فيه مجرّد تقنية للمكان ليصبح بذلك نسيجًا تصويريًا موحيًا وموظّفًا توظيفًا دلاليًا يحيلنا على أشياء ذات وقع تاريخي واجتماعي وإنساني.

ثمّ إنّ المؤلّف التقط شخصيات القصّة من جبل الأوراس الذي ما زال يعانق التّاريخ ويروي قصّة المقاومة الإنسانية. فالثّورة ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالجبال، فمنها تفجّر بركان الثّورة وزحفت الجموع الثّائرة لتدرك معاقل الاستعمار الفرنسي وأعوانه. وتعرّضت هذه الجبال للدّمار والتّخريب في نضالها مع الإنسان الجزائري الذي التقى بها في موقف واحد، فأصبحت الإرادة كذلك واحدة تقاوم الظّلم و العبودية، وفي الآن نفسه تزرع الحق والأمل. فالقصّة مستوحاة من واقع الحرب وشخصيّاتها ثوار جزائريون من أبناء الأوراس حيث تدور مأساة جيل بأكمله.

والحقيقة أنّ العناصر التي استثمرها "ركيبي" في هذه القصّة من لون طير وحشرة وحيوان، وحتى الأصوات هي عناصر موظّفة توظيفًا جيدًا لخدمة المكان ولخدمة الحدث وتطويره، والانتهاء به إلى نهايته المحتومة كما تقتضيها ظاهرة الاستغلال في زمن الظلم والاستعباد. ثمّ إنّ المؤلّف أضفى على قصته هذه وعلى المكان خاصّة، شاعرية رقيقة لا تتنافى مع واقعية التّصوير التي يهدف إليها.فهذه القصّة وشأن أغلبية قصص المجموعة وأماكنها التّاريخية أكّدت ما ذهب إليه السّعيد الورقي: « من أنّ القصّة الواقعية احتفظت بإمكانية التّحقيق في بعدي المكان والزّمان عندما سعت إلى تقديم حقائق الزّمن في بعدها المكاني »[8].

إن عنصر المكان لا يكتسب أهمية إلاّ إذا عبّر عن أبعاد النّماذج الإنسانية والنّفسية والاجتماعية ،لأنّ إحساس الشّخصية الإنسانية بالمكان والزّمان هما أساس الشّعور بالتّواجد والكيان الفردي والاجتماعي، كما أنّهما يوحيان بمدى سعادة الفرد وتعاسته، ويكثّفان قدرته على الاستجابة للعوامل المحيطة به نفسية واجتماعية .

2- الجبل /: تجسيد لحركية الزمان والتاريخ:

ينتصر الجبل في هذه القصص ويصبح الحيّز الأثير والموطن الأنموذج للبطل الثّائر، عرفًا وتقليدًا راسخًا في المقاومات والانتفاضات المختلفة التي عرفتها الجزائر، وفي الأدب الجزائري الثّوري بشكل عام. وقد سنّ "ركيبي" هذا العرف وجعل الجبل رمزًا التّحقيق ما لا يستطيع أي مكان تحقيقه كخاصية وميزة، والنّصوص الآتية تجسيد واضح للبعد التاريخي للمكان ووظيفته :

« اتّجه إلى عين البرقوق، هذه العين التي تنحدر من كهف موغل في الجبل، وانحنى يشرب منها بفمه مباشرة.. فقد تعوّد أن يشرب منه وهو يمتص الماء بشفتيه، وأحس ببرودته الشديدة تلذع شفتيه، فدّب الارتياح في نفسه بعد أن روى ظمأه من نبعها الثرار.. »[9].

« ووقفا أمام الجبل.. إنّه أجرد.. ليس به شجر.. إلاّ بعض أشجار الشّيح والسدره.. ولكن الصعود إلى قمته يبدو في غاية الصّعوبة.. فصخوره الملساء وندرة التّراب فيها تجعلك تتزلق كلّ خطوة تخطوها.. »[10].

« إنّنا نسمع بأشياء وأشياء عن الثّورة في الأوراس وفي القبائل، ولكننا لا نعرف عنها الشّيء الكثير..

– أين أنت الآن ؟

– إنّني كنت مع الإخوان.. كنت معهم في الجبال »[11].

« إنّه ليسعدنا أن نرى الفتاة الجزائرية تخوض المعركة في الجبال مع إخواننا المجاهدين...[12].

– إنّني أحبّ كلّ شيء في الجبل، صخوره.. أشجاره.. غاباته، طيوره.. ليله.. ضياءه، حيواناته.. إنّ الجبل عالم آخر »[13].

– « علينا أن نختبئ.. إنّهم يبحثون عنّا..

– إنّهم يطاردوننا حتّى في الجبل »[14].

تكمن وظيفة الجبل من حيث هو مكوّن جوهري من مكونات القصّة، ومن حيث إضفاؤه روح الثّورة والمواجهة على الشّخصيات. فحضور الجبل في هذه القصص لا يقتصر على بعده الفيزيائي والمادي فحسب، بل نجد له أوجهًا أخرى. إذ حاول "ركيبي" أن ينفخ الرّوح في الجبال فيجعلها حيّة ببعدها التّاريخي، فيتجاوز إطار المكان عبر حركية الزّمان والتّاريخ. إنّه مكان ممزوج بالحنين، فهو يعكس في هذه القصص ملامح عاطفية وإيديولوجية على مستوى الشّخصيات خاصّة. فقد قام هذا المكان بوظيفة كبيرة في بيئة القصّة، حيث زادته ثراء لا سيما من حيث دلالات مجرى الحدث الفنّي، فالمكان المشبّع بحدثه المتميّز بجغرافيته والخازن لتاريخ خاص هو ما يصلح لأن يكون وعاءً ومادة للقصّة.

إنّ نظرة ركيبي إلى المكان جسدت بحق الإحساس الجماعي المشترك، حيث أسقط عليه مضامين إنسانية. فما تقديس الجبل، إلاّ لأنّه ذلك الرّمز الخالد في الوعي الجماعي بوصفه دالاً على الحرية عند الجزائري منذ الأمد البعيد، ومن هنا استمد قيمة مطلقة قياسًا إلى الأمكنة الأخرى على الرّغم ممّا تحقّق عبرها من بطولات رائعة.

إنّ قصّة (الإنسان والجبل) لا تتحدّث عن مكان عابر، بل تجسّد، وكما يقترح عنوانها إيماءة حافلة بالدّلالات: « فمضمون العنوان ليس ثابتًا، ولا يمكن أن نضبط تجلّياته الدلاليّة في استقلاليّته.،ولهذا وجب علينا أن نردّه إلى نظام النصّ الذي ينتمي إليه، وعلى هذا الأساس يستمدّ العنوان قيمته الدلاليّة من العلاقة البنائيّة التي يقيمها مع عناصر هذا النظام »[15]. فالجبل وضع في المقام نفسه مع الإنسان، وحرف العطف يفيد التّلاحم والتّرابط بينهما، فدورهما واحد، لا أحد يستغني عن الآخر، الجبل احتوى الإنسان، ووقفا معًا مرصادًا للاستعمار، فكلمة الجبل جاءت معطوفة على الإنسان لتحمل ما يوحيه العطف من خصوصية واحتواء وتلازم.

ثمّ إنّ ركيبي لا يكتفي بتداعيات الكلمة التي قد تختلف من متلق إلى آخر، بل يلحق بها صفات محدّدة، تواجه قراءتنا للعنوان وجهة مميّزة، وتكشف لنا منذ البداية طبيعة الجبل وقيمته في الإنسان، في المتلقي، وفي الثّورة.يقول المؤلف:

« إنّ الفتاة دورها في البيت لا في الجبل.. الجبل للرّجال لا للنّساء »[16].

« فهذا السّكون الشّامل وهذه الطّبيعة الصّامتة والهدوء العميق.. كلّ هذا يوحي للإنسان بمعان يعجز عن تحليلها الوصف.. إنّني أحسّ بانجذاب للجبل.. وأحسّ بأنّ كلّ ما فيه بشكل سيمفونية خالدة.

– أنت الآن شاعر.. إنّك تحلق في سماء الشّعر »[17].

والقصّة لا تعلن عن طبيعتها المكانية في عنوانها فحسب، بل إنّها تتشكّل كلّها تقريبًا من عناصر مكانية، قوامها المكان المرتفع، أضفت عليه عنصر الأنوثة جوًا رومانسيًا ملتهبًا، يواجهه المؤلف بعنف وجداني وتركيبي تعمّقه في نفوسنا حروف النّفي المتكرّرة، وأساليب الحوار التي تحمل شحنتها الرّافضة في البداية والرّاضخة للأمر في النّهاية مستقبل المرأة ودورها في الثّورة والمجتمع.

فالعنوان إذن يمدنا بزاد ثمين لقراءة بعض القصص، فهو المحور الذي يحدّد هويتها، وتدور حوله الدّلالات وتتعالق به وهو عتبة للقراءة يلج منها القارئ إلى عالم النّص،و يحاول أن يجمع شتات النّص المعبّر عنه ليلخص كلّ ما ورد من وقائع وأحداث ،وما تفاعل فيه من شخصيات في نطاق الزّمان والمكان. فالعناوين (اختار الطريق، في المغارة، راعي الغنم، وجود.. ولكن الإنسان والجبل) تعكس الأبعاد السّطحية والعميقة للقصص والعلاقة بينها علاقة تفاعلية وجدلية.

يضفي المؤلف الصفات الإنسانية على الأمكنة وما شاء من الظّواهر الطّبيعية، فيعمل على تشكيلها إنسانيًا، تحسّ وتعبر حسب ما أنسنت من أجله من مواقف .لقد أخضع ركيبي الأماكن لعملية تفاعل حميمية مع الإنسان فأصبح متحدًا فيها ممّا "ولد نوعا من التآلف الإنساني. يتوازى و يتماهى المكان مع البطل فيقوم بدور إنساني جديد وهذا في الحقيقة ضرب من الطّموح الذي يريد البطل تحقيقه فيجعل هذا المكان يشاركه المعاناة والفرح في الحياة »[18].

إنّ صدق التّجربة القصصية في جزائر الثّورة التّحريرية يمكن أن تحدّدها مجموعة من المقاييس، تكون نظرة القاص إلى المكان مقياسًا مهما. فالتجربة القصصية الصّادقة هي التي واكبت الثّورة وأعطت للمكان أهمية كبيرة، وهو المستمد من المرحلة التّاريخية المتميّزة بحس مأساوي عام، والإنسان الجزائري آنئذ كان في حاجة إلى من يحقّق الحرية التي كانت المثل الأعلى بالنّسبة إليه، كوجود وهوية واختلاف.

خاتمة

يطالعنا المكان في قصص هذه المجموعة من أنّه جوهر مادّتها، وازداد حضوره وتأثيره أنّه ليس مكانًا متخيّلاً مفترضًا، صنعته تقنيات السرد القصصي وخيال المؤلّف، بل هو مكان تاريخي حقيقي فعليّ له وجود وهوية.

أظهر الكاتب أهميّة المكان في تعميق السمات النفسية والوجوديّة والتاريخيّة، محاولاً صياغة الهويّة ضمن تفاعل معقّد مع الواقع والتاريخ والاستعمار.

تجلت أهمية المكان على المستوى النّفسي والاجتماعي والتّاريخي، لذلك نجد أن بناءه في هذه المجموعة خضع للتّمثّل الفنّي للواقع الذي امتلكه المؤلّف معرفيًا وجماليًا، محاولاً بذلك بيان الانتماء القومي والاجتماعي للإنسان الجزائري.

لقد دخل "ركيبي" في خضم المكان وثرائه الدّلالي، وأنشأ بين عناصره وشيجة عامرة بالمأساة والمعاناة والحلم والتّفاؤل في آن واحد. الأمكنة في قصص "ركيبي" قطع من الحياة والذّكريات. إنّ فضاءات مثل وهدة البرقوق، الوديان، الأكواخ، الجبال، المغارة.. ليست أماكن من تراب جاف وحجر صلب، بل هي أرواح جيّاشة بالأسى البليغ والحلم المتدفق.

الهوامش:

[1] – عبد الله ركيبي نفوس ثائرة مجمعة قصصية، (قصة نوارة الصّغيرة)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط2 ، الجزائر 1982 ص 26.

[2] – ركيبي (نوارة الصّغيرة)، ص 27، 28.

[3] – المرجع نفسه، ص 278.

[4] – قصة نوارة الصغيرة ، ص 28.

[5] – عبد الصمد زايد– ، المكان في الرواية العربية، الصورة و الدلالة ،دار محمد علي للنشرط1،تونس 2003ص ، ص 342.

[6] نفسه، ص 50.

[7] – أحمد طالب، جماليات المكان في القصّة القصيرة الجزائرية، مقال في مجلة الأثر، ع 4، جامعة ورقلة، الجزائر 2005.

، ص 284

[8] – السعيد الورقي، في الأدب و النقد الأدبي دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1989، ص 36.

[9] – ركيبي (راعي الغنم)، ص 43.

[10] – ركيبي (في المغارة)، ص 56.

[11] – ركيبي (اختار الطريق)، ص 91.

[12] – ركيبي (الإنسان والجبل)، ص 90.

[13] – المرجع نفسه، ص 104.

[14] – ركيبي (صرخة... في اللّيل)، ص 111.

[15] – رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع، ط1 عمان، 2006، ص 82.

[16] – ركيبي (الإنسان والجبل)، ص 98.

[17] ركيبي الإنسان و الجبل، ص 104.

[18] – يُنظر: مرشد أحمد، أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية 2002، ص 7.